المؤتمر الدولي المنعقد في بولونيا « من أجل السلام والعدالة في الشرق الاوسط » . ثم يعرض « جاك كولان » — وهو من كبار الباحثين الفرنسيين الشيوعيين المهتمين بقضايا الشرق العربي (اشتهر بكتابه عن النقابات في لبنان) — لمواقف كل الدول والمنظمات المعنية مباشرة بالصراع ويشرح «امكانيات التعايش السلمي العادل » في المنطقة . وتغلب على هذا الفصل روح البحث والتقصي والموضوعية بالاضافة الى الالمام الدقيق بتطورات القضية الفلسطينية من ٥ يونيو الى ٦ اكتوبر . اما فيما يتعلق بالاستنتاجات التي يستخلصها من عرضه التاريخي فهو يتبنى كلية موقف الحزب الشيوعي الفرنسي القريب جدا من الموقف السوفياتي القائم على :

— ادانة الاوساط الحاكمة في اسرائيل بصفتها وراء العدوان .

— انتصار الطبقة العاملة في اسرائيل هو الكفيل بالقضاء على الصهيونية واعادة السلام الى المنطقة .

— ان ميزان القوى على الصعيد المحلي سيتحول بلا شك لصالح العرب مهما طال الزمن ومهما كثرت الصعوبات . أما اولئك الذين يهمهم قبل كل شيء وجود دولة اسرائيل فانهم لا يستطيعون الزعم بأنهم يحافظون على هذا الحق الا اذا عملوا على جعل اسرائيل تنفذ قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ .

— لا يمكن ان يكون هناك سلام دائم في المنطقة وبالتالي تعايش عادل طالما ان الشعب الفلسطيني ليس سيد مصيره وطالما انه لم يعط ارضا يمارس فوقها سيادته : قد تكون هذه السيادة في دولتين منفصلتين او متحدتين او في دولة ديمقراطية ، علمانية ...

ويعود رودنسون بعد ذلك ليشرح بتفصيل وتوسع « امكانيات التعايش » وذلك من خلال تأكيده هو الاخر على اهمية قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ . الا انه بعد مناقشة طويلة ومستفيضة لمسألة وجود « مجموعتين اثنيتين » Ethnique متمايزتين على ارض فلسطين (نجد هنا ان المجال لا يسمح لنا بمناقشة تأكيد رودنسون على ان الاسرائيليين يشكلون فعلا مجموعة بشرية متجانسة. ولكننا نكتفي بالقول ان من الواضح جدا ان المجتمع الاسرائيلي مؤلف من مجموعات بشرية متنوعة وان كل مجموعة تحدد نفسها ، بالاضافة الى يهوديتها، بانتمائها الاصلي : فهناك الاسرائيلي البولوني والاسرائيلي الامريكي او السوفييتي او الشرقي الخ ...) وبعد استعراض امكانات التعايش من خلال اعطائه بضعة امثلة تاريخية وبعد تركيزه على ان الانسان العربي يتسم بالتسامح والطيبة يعود فيقول : اننا لن نحدد مشروع « حل » للصراع الفلسطيني فهذا عمل لا يجدي نفعا . ان الحل — وهذا في رأينا استنتاج صحيح — سيكون نتيجة تطور ميزان القوى بين الطرفين وقد يكون نتيجة مفاوضات بين المتصارعين او حتى بين القوتين العظميين . و« كل ما نتمناه هو تحديد صورة الحل في مثله الاعلى أي التعايش بين المجموعتين بشكل متساو على ارض فلسطين » .

وفي الفصل الخامس من الكتاب يناقش رودنسون مشروع الملك حسين و« الارهاب الدولي » وبالاخص العمليات التي شهدتها بلدان اوروبية عديدة من ميونيخ الى روما مرورا بباريس ومدريد وبروكسل. وطبعا فان ما يقوله رودنسون هنا سبق ان نشر الا ان اهميته هو انه كاد يكون الصوت الوحيد الذي ارتفع آنذاك في وجه الاعلام الغربي والصهيوني الذي اخذ يحرض الرأي العام العالمي على الفلسطينيين وتشويه الحقائق والاستهتار بكل المقاييس المنطقية والمقبولة . بالنسبة للموضوع الاول يشرح رودنسون علاقة النظام الهاشمي التاريخية بالقضية الفلسطينية ويستعرض بسرعة النوايا الحقيقية الكامنة وراء مثل هذا المشروع لينتهي أخيرا الى ادانته اذ « ليس فيه اطلاقا أثر لحقوق الشعب العربي الفلسطيني في التصرف بكامل حريته لاختيار نظام الحكم الذي يريده . وهذه صفة تدعو الى ادانته بشدة وذلك أقل شيء يمكن ان يقوم به انسان » . أما بالنسبة لما يسمى « بالارهاب الدولي » وللضجيج الاعلامي المفتعل الذي رافق بعض العمليات الفلسطينية (كعملية ميونيخ مثلا) فيدعو رودنسون جميع قارئيه (الاوروبيين طبعا) الى عدم فقدان التوازن وعدم نسيان عناصر الصراع ككل ومن أهمها استعمار فلسطين من قبل الصهيونية . ويقول ان من كانت لديه رؤية واضحة للصراع يجب ألا يستهول بعض التفاصيل او يستنكر بعض العمليات لمجرد استنفار ما يسمى بالرأي العام العالمي ضدها . ان مناقشة